

سوء حظه ان لمكسيم رودنسون اصدقاء كثيرين من التغميين العرب ، ومن سوء حظه مرة ثالثة انه بدأ مقاله بكذبة ساذجة وسطحية ولا قيمة لها شكلا وان كانت تدل على أسلوبه العام في التلفيق وهي قوله بانه حمل الكتاب الى مكسيم رودنسون في بيته ليناقتسه في محتوياته بينما ذهب اليه لشيء آخر تماما وهو ان يسأله الاشراف على أعماله العلمية في الفلسفة الإسلامية التي كان ينوي القيام بها لتبيل احدى الشهادات من جامعة باريس وليلتطلب اليه النصيحة العلمية والعملية ! ثم ان مكسيم رودنسون لم يعرف بشأن المقال الا مصادفة حين أطلعته عليه بعض اصدقائه العرب من قراء « الآداب » !

ومرة أخرى لا أريد أن أدخل في تفاصيل مناقشة لحجج المهدي واحدة بواحدة مما قد يخرج عن نطاق هذه الرسالة وقد يكون له مكان آخر ، ولكنني أكتفي بالإشارة الى خطأ منهجه في الرؤية والعرض . فلقد نسي أو تناسى أن الكتاب تأريخ للصراع العربي - الاسرائيلي ، وان المؤرخ الذي هو مكسيم رودنسون حين يعرض للامح من التاريخ للحركة الصهيونية فليس معنى هذا الا في نظر الساذج فقط ، انه يعرض رأيا خاصا . ثم انه لم يغير رايه في الوقوف الى جانب العرب وان كان يقسو عليهم بالنقد هذه المرة لاسرافهم في القول وانسياقهم مع الحماس اللغوي ، وتلك حقيقة اكتشفناها نحن واعترفنا بها ونقدنا انفسنا نقدا ذائبا على جميع المستويات بعد النكسة . ومكسيم رودنسون حين تحدث عن علاقة اسرائيل بالفرب أكد هذه العلاقة ووضحها بكلمات لا شبهة فيها بل وأكد أيضا - على عكس ما يقول المهدي - علاقتها بالراسمالية الاميركية وتبعيتها للراسمال اليهودي بالذات في اميركا .

وسوف أكتفي بمثل بسيط على تعمد الزميل المهدي اساءة الفهم اذ يقول - في مقاله بالآداب ( ص ٥٩ في نهاية العمود الاول وبداية العمود الثاني ) - ان رودنسون يحاول كثيرا أن يبرر موقف اسرائيل بالقاء اللوم على الرفض العربي واصرار العرب على عدم الاعتراف باسرائيل حيث يقول في ص ٢١٩ من الكتاب : « ان الرفض العربي معناه استمرار الحرب ، وفي أي حرب فان أي طرف لا يتنازل عن قطعة صغيرة من المميزات التي يكتسبها » .

وتلك الجملة بالذات هي نهاية فقرة كاملة اقتطعها المهدي على هذا النحو ليبرر بها بالطبع افتراضه الاول المغلوط . أما الفقرة كلها فهي كما يلي : « ان سياسة اسرائيل الدائمة هي أن تنتزع الاعتراف من العرب ، ليس بوجودها فقط ، الذي كان غزوا بالفعل ، وانما بتوسعها أيضا عام ١٩٤٨ والذي يبدو في نظر أكثر الاسرائيليين اعتدالا انه يضمن أقل حد ممكن من الرفعة لحياة الدولة . كما ان هجرة اللاجئين ، ايا كانت أسبابها ، تبدو في نظرهم مسألة جوهرية لكفالة الصيغة اليهودية لتلك الدولة ، وهذه الصيغة أساس ومبدأ للابدولوجية الصهيونية . والرفض العربي يولد شعورا بعدم الاطمئنان يجعل أي تنازل شديد الصعوبة ، فالرفض العربي يعني أن الحسب دائمة وفي كل حرب لا يتنازل أي طرف عن قطعة صغيرة من الزايات التي حققها » .

وهكذا يصبح مقال المهدي مجرد هجوم مخلوق الاسانيد . ومكسيم رودنسون نفسه - بتواضع العالم الحقيقي - قد أكد ان النتائج التي توصل اليها غير منزهة عن الخطأ ، ولا يطلب ممن يريد مناقشته والاعتراض عليه سوى حجج مدروسة لا مجرد الفاظ واختلافات وهم . فلنناقشه اذا استطعنا لانه صديق ، ولانه صنع من نفسه طائفا وعن ايمان ، أحد الجسور القوية التي تعبر عليها قضيتنا الى الرأي العام في الغرب . ومن المؤسف أن نعمل اليوم على أن نخسر صديقا ، بعد ان عملنا من قبل على خسران قضايانا أمام الرأي العام العالمي .

وحيد النقاش

## كيف نخسر الاصدقاء ؟

بقلم : وحيد النقاش

منذ حوالي سبعة أشهر ظهر كتاب الفكر الفرنسي لمكسيم رودنسون الجديد « اسرائيل والرفض العربي ، خمسة وسبعون عاما من التاريخ » ومنذ حوالي شهرين بدأ الاهتمام به في العالم العربي ، ذلك لان مكسيم رودنسون صديق قديم للعرب وللتراث العربي ، صديق متفتح وتقدمي وعالم ، ودراسته القيمة معروفة في الاوساط العلمية المتخصصة وفي الاوساط الثقافية بشكل عام . وليس عهدنا بعيد بدراسته العميقة المفصلة عن « اسرائيل واقف استعماري » التي نشرها بمجلة « الازمنة الحديثة » في شهر يونيو الماضي وكان قد أعدها قبل النكسة بقليل وأظن انها قد ترجمت في كتاب مستقل ظهر في دمشق منذ شهر . أما هذا الكتاب الجديد فقد نشر الاستاذ كامل زهيرى تقييما وعرضا له في مجلة « الصور » بالقاهرة في ٢٠ سبتمبر الماضي ، وترجمت مجلة « المعرفة » فصله الاخير أو جزءا كبيرا منه في أحد أعدادها القريبة الماضية ، ونشرت « الآداب » عنه مقالا شديد التطرف بقلم الزميل اسماعيل المهدي في عدد ايلول ( سبتمبر ) الاسبق . وهذا المقال بالذات هو الذي أريد أن أفق عنده وقفة قصيرة .

كان المقال صدمة لي رغم انني كنت على علم بان الزميل المهدي سيكتبه ، وحين تحدث الي في أمره لم أكن قد قرأت الكتاب ، وكنت أظنه سيقوم بمناقشة للقضايا المطروحة فيه فذلك حقه المشروع أن لم يكن واجبه أيضا . ومصدر صدحتي ان المقال كاذب من اوله لآخره ، ومتطرف في الكذب الى درجة الضلال والتضليل معا . ولست هنا أحاول أن أدحض عن مكسيم رودنسون تهمة أو أن أرد عنه هجوما متطرفا ، فقراءة الكتاب وحدها كفيلا بان توضح ما حاول الزميل المهدي أن يلقي عليه ملمحا أو مصرا ظلال الشك والريبة ، شرط أن تكون قراءة متأنية وموضوعية . وباعتقادي ان الزميل المهدي قد استغل عامدا أو غير عامد - فالنتيجة واحدة - عدم وجود نص عربي للكتاب في متناول القراء الذين يستطيعون أن يفصلوا في ادعائه ، مفترضا ان قراءه من المواطنين العرب سيصدقونه اذ يقول لهم انه قرأ « لهم » الكتاب بالفرنسية ، وانه « فهم » لهم مقاصده ومرماه ، وفضح « لهم » نوايا مؤلفه الذي طالما انخدعوا في أمره ، والذي يدعي الماركسية ويدعي التقدمية ويدعي الاشتراكية وصداقة العرب على حين انه في حقيقة الامر التي توصل اليها المهدي بفضل اخلاصه الشديد في قراءة الكتاب وتبني مكر مؤلفه خلال كتبه الاخرى ، ليس الا يهوديا وصهيونيا يلوح بالرايات المختلفة الالوان !!

وهذا أسلوب لا يسع المرء الا أن يأسف لصدوره عن كاتب عربي يدعي « التقدمية » لانه هو ذاته الذي يمكننا أن نخسر به اصدقاءنا الحقيقيين على المستوى العالمي ، وهم قلة نادرة ، والمهدي يعطي لنا مثلا حيا على هذا الاسلوب . أقصر الطرق لخسران الاصدقاء هو أن نسيء فهمهم ونشكك فيهم . ومن سوء حظ المهدي ان فصلا كبيرا من فصول الكتاب قد ترجم الى العربية في مجلة « المعرفة » ، ومن

## حول مقال «المثقفون والنكسة»

بقلم حسني سيد لبيب

عن همومنا وأحزاننا تجاه أراضينا السليبية حتى نكاد نتصور ان تاريخ صدور هذه المجلات هو ما قبل ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، وقد نتصور أيضا انها صدرت قبل عام ١٩٤٨ . وهذا أمر يدعو الى الاسف ، بينما نجد صفحاتها تفتح بفصائد في الرثاء ، وشكر شاعر لاديب على اهدائه كتابه الاخير !..

كما أنه - وهذا هو الشيء الثاني - قد يظن المرء ان الاديب ما لم يكتب عن المعركة والفدائيين وانتصاراتنا المرتقبة ! .. فانه يكون ادبيا متخلفا ، ولا يعبر عن قضايا العصر .

لكنني ارى ان الاديب الصادق هو ذلك الذي يقدس قلمه فسي دموعنا ودمائنا ، ويكتب على صفحات الورق ملحمة خالدة عن نوازعنا وقضايانا الانسانية . وليست النكسة هي كل شيء في حياة الاديب وفي حياة مجتمعه ، وانما هي شيء ملح في ذهنه وخاطره .. شيء يثور عليه ، ويقلق باله . لكن هناك أشياء كثيرة تقلق بال الاديب العربي وخاطره ، وهناك بطولات انسانية أخرى تزخر بها حياتنا .

ان الاديب العربي مطالب بأن يكتب ويكتب ويكتب .. ولكن أي شيء يكتب؟! هذا هو جوهر المشكلة المعقدة ، وهذا هو المحك الذي نتلمس به أصالة الكلمة وابداعها ، ومن هنا تكون مسؤولية الاديب العربي الصعبة والمعقدة . ومسؤوليته لن يجدها اذا اغترب ، وانما اذا انغمس في واقع الجماهير العربية وعبر عن الانسان العربي كمنطق للانسان ايا كان هذا الانسان . ومن احساس الاديب بالمسؤولية ينبع الاديب الذي نريد أن نقرأه . حقا ان الاديب مسؤول ، وهذا هو ما اتفق فيه مع الاستاذ الدكتور ، وان كانت هناك ملاحظات حاولت قدر جهدي أن ألم بها في هذا المقال .

حسني سيد لبيب

القاهرة

هذا الشهر

### ثورة «ماو» الثقافية

أشمل وأعمق ما كتب عن

الثورة الثقافية المعاصرة في الصين

بقلم

البرتو مورافيا

ترجمة وحيد النقاش

منشورات دار الآداب

كتب الدكتور جورج حنا في مجلته «الآداب» تحت عنوان «المثقفون والنكسة» مقالا أنهم فيه الاديب العربي بأنه لم يرتفع الى مستوى المسؤولية في ظروفنا الراهنة . وقد أرجع ذلك المفهوم الى ان الاديب مسؤول وهو مهندس النفوس .

يجب أولا ، وقبل كل شيء ، أن نقر هنا ان النكسة أو النكبة الثانية كانت بحجمها الكبير ونقلها الهائل اكبر وأعمق من أن تستوعبها طاقة الاديب العربي ، واذا هو حاول أن يستوعب كل أعماقها أو خطوطها العريضة ، فلا أشك في أنه سيلجأ حتما الى السطحية أو النداءات الحماسية التي شلت مقدرتنا الأدبية منذ زمن غير قصير وأفسدت مزاجنا الادبي وجعلت آداب يدور في حلقات مفرغة .

ولست أبرئ الاديب العربي من التركة الثقيلة الواجب عليه فحصها ورعايتها ، وحتى هذا الاديب العفوي الذي يضطر اليه الاديب كي يستوعب أبعاد النكبة الثانية ، حتى هذا الاديب يكون شيئا ضروريا ومطلوبا ، ويكون شيئا مجيدا .

لكن مشكلة آداب هي انه ملزم بأن يعبر عن عصره وأن يتجاوزه أيضا ويكون نتاجه الفني صالحا لكل زمان وفي كل مكان ، وهي مشكلة معقدة . ولست أستطيع أن ألزم الاديب بأن يكون خطيبا أو زعيما للامة . وأيضا لن تعالج المسيرات الصامتة فيبعثنا . لن تغفل المسيرة الصامتة أو الصاخبة شيئا أمام رصاص العدو الذي يصرع اخواننا واخواننا العرب في الارض المحتلة ، ولا يمكن ابدا ان نجابه الرصاص بالمسيرات أو بقرقيات الاستنكار . كما لا يمكن أن نجابه الرصاص بالشعارات أو النداءات الحماسية ، فكل هذا - اذا كنا نبحث عن دور الاديب في المعركة - لن ينتصر على منطق القوة .

الا فلتفسد كل كلمة لا تعبر عن وجدان الجماهير العربية المناضلة، ولتفسد كل كلمة طيش تعبر عن غرورنا وتهويمات غيبية لا تمت بصلة الى الحس الفني الصادق ، وأصالة الخلق الفني وابداعه . ولتفسد كل كلمة لا تترجم عن واقعنا المعاش بغير اقليمية أو عنصرية وانمسا بتجاوزهما متغلغلة من أعماق الانسان العربي . واذا ما عبرنا عن الانسان العربي دونما تعصب ، فسيكون أدبا معبرا عن قضية الانسان العالمي ، وهذا هو الاديب الذي يمكن للجبال القادمة أن تقرأه وتحس فيه روح عصرنا .

نحن لا نريد أن يفرق الاديب العربي في المنازعات العربية وانما أن يستكشف الأبعاد الانسانية وراء هذه المنازعات ، ولكن الاديب العربي للاسف مهمت بشكل المنازعات ، بالصورة الخارجية .

ان نشيدا مثل «بلادي بلادي» يهز مشاعري ويحرك أسياء كثيرة دفينية ، ويحفزني الى فعل شيء من أجل هذا الوطن . وبرغم ان هذا النشيد الذي لحنه الموسيقار الخالد سيد درويش ، قد مضى عليه ما ينيف على نصف قرن ، فاني أحس انه يحكي لي أبعاد النكسة ويوقظني من غفلتي . أحس ان سيد درويش ملحنه بث فيه كل المرارة التي في نفوسنا ، لكنه لحن يصعد المشاعر ، ويبعث الهممة في النفوس . شيء عظيم فعله نشيد قديم ، واستطاع أن يعبر عن متطلباتنا الراهنة في الوقت الذي عجزت فيه عشرات الاناشيد والاغنيات الوطنية أن تصل الى هذا المستوى باستثناء أغنية «زهرة المدائن» التي تفتيحها فيروز . واني لا تصور ان أغنية «زهرة المدائن» ونشيد «بلادي بلادي» سيخلدان وسيتجاوب معهما الانسان العربي بعد عشرات وعشرات من السنين .

كما ان هناك شيئين يدوان وكأنهما متناقضان ، لكنهما فسي رأبي غير ذلك . فبعض المجلات العربية لا نكاد نقرأ فيها شيئا يعبر

## عملية تزوير مبتذلة . . .

بقلم : رشيد ياسين

لم أكن أعتزم التطرف الى كتاب « الشعراء العرب المعاصرون » الذي صدر في بلغاريا مؤخرا . فسرد القصة الكريهة مشقة للراوي والسامع على السواء . ولكن الخبر الذي ظهر عن هذه المجموعة في العدد التاسع من « الآداب » لا يدع مجالاً للسكوت . وما دام كاتب الخبر - أيا كان غرضه - قد عرض المسألة على هذا النحو المشوه وتسرع في ابداء الرأي من غير تمحيص أو تثبيت ، فلا مناص من جلاء الحقيقة ووضع هذا الطبع الهزيل في المكان الذي يستحقه .

وينبغي أولاً أن نلاحظ ، بأسف ، ان كاتب الخبر لا يتحلى بالفدر الضروري من الدقة والامانة . وهو يعطينا الدليل على ذلك منذ العبارة الأولى . فقد ادعى ان الكتاب المذكور ظهر أيام المهرجان فانار ضجة كبيرة يستحقها . والواقع ان الكتاب لم يصدر الا بعد انتهاء المهرجان وعودة جميع الوفود الاجنبية الى بلدانها . أما النسخة التي أطلع عليها هو فقد جاءت بطريق شخصي وقبل ظهور الكتاب في الاسواق . وبالتالي فهذه الضجة لم تهم الا في رأس الكاتب نفسه . ويبدو انه أراد التفریط فلم يجد بين يديه غير هذه العبارة الجوفاء .

ويمضي الكاتب بعد ذلك في كيد الشاء ، بسماحة مفرطة ، مقدمة الكتاب هي بقلم فانيا بينكوفو وعبد الستار الديلمي ، دون أن ينتبه الى انها مذيلة بثلاثة أسماء . وصاحب الاسم الثالث - أو الثاني على الاصح - هو الطالب السوداني نوري صادق الذي لا اعرف وشيخة تربطه بالادب سوى كونه زوجاً لبينكوفو مارة الذكر !

ويمضي الكاتب بعد ذلك في كيد الشاء ، بسماحة مفرطة ، للكتاب ومصنفيه قائلاً انه « يستحق الكثير من الاعجاب والتبجيل للجهد المبذول فيه وللخلاص والدأب اللذين يتجليان في ثناياه » . كل هذا وهو لم يقرأ منه سطراً واحداً ، وانى له ذلك وهو لا يحسن البلغارية ، لغة الكتاب !

وقبل أن نتصفح الكتاب لنرى مدى « الجهد المبذول فيه والخلاص والدأب اللذين يتجليان في ثناياه » ، أجد من الضروري أن أقف بالخارئ وقفة قصيرة عند مقدمته العجيبة ، وهي بذاتها كافية لتحديد ملامح هذا التالوث الذي انتدب نفسه لتعريف الرأي العام البلغاري بتراثنا الشعري . ولن أتناول بالتفصيل كل ما حفلت به هذه المقدمة من سخف لا يطاق وجهل فاضح بأبسط حقائق التاريخ العربي ، بل ساقصر على ترجمة القليل مما ورد فيها ، وهو فسي حسابني يعني عن الاطالة :

« وفيما بعد توجهت في صفحات التاريخ المصفرة ، الواحد بعد الآخر ، الاسماء الخالدة لعمر بن ابي ربيعة والفردق وجريز ( ابن تمام ) ووضاح اليمن وطرفة بن العبد و ( بيشار بن برد ) و ( الاخطل ابو معلا المعري ) . وكلهم سبقوا عصر هرون الرشيد ( القرن الحادي عشر الميلادي ) . . . »

لا أعتقد بين قراء « الآداب » من يفوته الانتباه الى ان هذه الفترة ، على قصرها ، مشحونة بالاطعاء المضحكة . ومع ذلك فلا بأس أن نقول ، لواقعي الكتاب على الاقل ، ان عصر الرشيد هو نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي ، وان « ابن تمام » و « الاخطل ابو معلا المعري » - هكذا سماهما الكتاب ! - لم يسبقا عصر هرون الرشيد ، فأبو تمام عاصر المعتصم ، كما هو معروف ، بينما جاء أبو العلاء الى الدنيا بعد الرشيد بنحو قرنين من الزمان ! أما طرفة بن العبد الذي « توجه اسمه في صفحات التاريخ المصفرة بعد وضاح اليمن » فهو ، اذا أسعفتنا الذاكرة ، من شعراء الجاهلية ! . . . ولكن ما جدوى الاطالة ، وهذه حقائق أولية لا تخفى حتى على التلامذة

الصفار ؟ . فلنعد الى المقدمة :

« ان أبرز الشعراء العرب الافريقيين هم : « ابن رشيق القيرواني » و « أبو الحسن أصحراوي » - هكذا ورد الاسم فسي الكتاب ولم أوفق الى معرفة المقصود به ! - وغيرهما . وتنبغي الاشارة على انفراد الى « أبو المعري » الذي كان ، فضلا عن الشعر ، مؤلف النثر المسمى ب « الرسالة الالهية » التي أفاد دانتني وجون ملتون من موضوعها فيما بعد . . . »

ماذا يؤخذ من سياق العبارات المقدمة ؟ يؤخذ منها ان أبا العلاء - ولندج جانب التحريف الذي أصاب اسمه مرتين - كان افريقيا ، لا سوريا من مرة النعمان ! أما أين عاش ومتى ، وما مذهبه الفلسفي ومكانه من تاريخ الفكر العربي ، فهذا ما لم يجد واضع المقدمة ضرورة للاجابة عليه . وحتى لو وجدوا ضرورة فيماذا يجيبون ؟ . . . ومن السواضح ان « الرسالة الالهية » المشار اليها هي « رسالة الفران » ، ولا ادري هل نتج تحريف الاسم عن اخفاق مساعدي السيدة بينكوفو في العثور على المفردة البلغارية المناسبة ، وهو احتمال جائز كما سنرى فيما بعد ، أم انها افترضت ان رسالة المعري لا بد أن تكون بهذا الاسم ما دام دانتني قد استمد منها ملحمته « الالهية » (1) . وسواء كان السبب هذا أو ذلك ، فان « الاخلاص والدأب » هما آخر ما يصلح لتقييم مجهود واضعي هذه المقدمة . ولولا غياب هاتين الصفتين بالذات لما شق على بينكوفو أن تجد معطيات دقيقة وافية عن أبي العلاء وعصره وتأليفه في الموسوعات الأوروبية ، كدائري المعارف السوفياتية والبريطانية وغيرهما . بل لييتها راجعت كتاب « في تاريخ الفلسفة العربية » ، وهو بحث نفيس صدر في بلغاريا خلال العام الماضي ، وفيه عن أبي العلاء ما يفني عن هذا التخطيط المحزن !

وقبل أن نفارق هذه المقدمة الخفيفة الظل لنستعرض القصائد ، ساقطف للقرءاء العربي بضعة أسطر أخرى . ولن أعقب بشيء هذه المرة والا جاز اتهامني بأنني افترض في القراء جهلا ما بعده جهل :

« وفيما بعد انقسمت الدولة العربية الى أجزاء وضعفت . وقد أتاح هذا للتر فرصة التوغل بحرية واخضاع العرب . فهاجموا دمشق بقيادة تيمورلنك ولم يتركوا وراءهم الا الخراب . وقد وصف المؤرخون هذه الفترة بأحلك الاوصاف . فالمدارس والمعابد حولت الى حظائر ومرابط للخيل . أما نهر دجلة فقد بات أزرق - أسود من الدم والحبر ! » . . .

هذه أمثلة قليلة مما حوته مقدمة هذا الكتاب ، وهي في جملتها لا ترتفع عن هذا المستوى المندي . ولا أراني أحتاج ، بعد هذا ، الى القول بأنها خلت من أية دراسة جادة لتطور الشعر العربي ومنابعه التاريخية والاجتماعية وخصائصه الفنية وغير ذلك من المسائل التي يفترض في الباحث أن يلم بها ولو الامامة عابرة ، ولا سيما حين يتصدى لتعريف شعب ما بشعب آخر .

ولو وقتت المهزلة عند هذا الحد لهان الامر ، ولكن اساءة مصنفي المجموعة بلفت ذروتها في اختيار ممثلي الشعر العربي المعاصر ، ثم في انتقاء القصائد ، وأخيرا في أسلوب ترجمتها . واذا كانت المقدمة التي سلف الحديث عنها نتاجا للجهل ولونا من ألوان الشعوذة ، فان اختيار الشعراء على نحو ما جاء في الكتاب هو نتاج التجرد المطلق من النزاهة ، وهو مثال مؤسف لاستحسواذ شهوة الظهور على بعض الغمورين ممن تصح فيهم عبارة بايرون الشهيرة « انه لامر سار ، بالتأكيد ، أن يرى المرء اسمه مطبوعا ! » . فهذا الكتاب الذي يفترض فيه تعريف الشعب البلغاري الصديق بالشعر العربي المعاصر قد أغفل معظم الشعراء العرب البارزين ، وتضمن بالمقابل أسماء لا شأن لها بالرة في حياتنا الشعرية المعاصرة . ولقد نوه كاتب الخبر تنويهسا

(1) لعل من المناسب ان نشير هنا الى ان دانتني لم يكن هو الذي أطلق على ملحمته اسم « الكوميديا الالهية » ، بل أطلقت عليها هذه التسمية فيما بعد من الاعجاب .

خاطفا بهذا المييب ، وذكر بعض الاسماء التي غابت عن الكتاب ، ولكنه استدرك قائلا ان هذا لا ينتقص بحال من قيمة الكتاب وأهميته . وهذا شبيه بان يقال « ان زيدا أعور ومجدوع الانف ولكن هذا لا ينتقص بحال من فتنته وجماله » ! والواقع ان الشعراء الذين أغفلهم الكتاب هم أضعاف من ذكر كاتب الخبر ، وحسب القارئ ان يعلم ان من بينهم هذه الاسماء الكبيرة : الياس أبو شبكة ، سعيد عقل ، فوزي الملوغ ، عمر أبو ريشة ، بسدوي الجبل ، ابراهيم طوقان ، أبو القاسم الشابي ، خليل مطران ، ايليا أبو ماضي ، ميخائيل نعيمة ، جبران خليل جبران ، محمد مهدي الجواهري ، علي محمود طه ، ابراهيم ناجي ، خليل حاوي ، فدوى طوقان ، أدونيس . . . وسنطول القائمة اذا أردنا الحصر ، ولكننا سنسلك طريقا أقصر فنقول ان المجموعة اقتضت عسلى شاعرين من لبنان هما الاخطل الصغير وشفيق الملوغ ، وضمت شاعرين من سوريا هما نزار قباني و خليل الخوري ! واختير من الشعراء المصريين : أحمد شوقي ، أحمد زكي أبو شادي ، صلاح جاهين ، حافظ ابراهيم ، بيرم التونسي ، محمد كمال ، محمد عفيفي مطر . . . وهنا يبرز هذا السؤال : ما القياس الذي اعتمده المصنفون في اختيارهم ؟ اذا كان القياس هو الشهرة فإين مطران وأبو ماضي ؟ وإين بسدوي الجبل وأبو ريشة ؟ وإين أبو شبكة وسعيد عقل ؟ وإين وأين . . . واذا كانت الغاية أن يمثّل الشعر العربي المعاصر على اختلاف مدارسه ، فلماذا مثل الشعر اللباني باثنين من شعراء الجيل الماضي ، ولم تشتمل المجموعة على شيء من شعر حاوي أو أدونيس مثلا . . . ولماذا اختير عفيفي مطر وأهل الشرفاوي ونجيب سرور وعبد المطي حجازي وعبد الصبور ؟ وإين مكان بيرم التونسي وصلاح جاهين في مجموعة اقتضت ، عداهما ، على شعراء الفصحى . . . أسئلة كثيرة لا نرتجي لها جوابا عند السيدة بيتكوف لأنها شبيهة بذلك النبطي الذي كان « يدرّس أنساب أهل الفلا » في مصر يوم قصدها أبو الطيب !

وإذ نتنقل الى الفصل الخاص بشعراء العراق نجد ان مصنفى المجموعة تجاهلوا عددا من أبرز الشعراء العراقيين ، وفي طليعتهم الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري . وسأكتفي هنا بالإشارة الى ثلاثة من الشعراء المعروفين اللذين أهملهم الكتاب ، وهم محمود البريكان وعبد الرزاق عبد الواحد وكاظم جواد . ولكل من هؤلاء تاريخه الشعري الطويل ، ودوره الملحوظ في تطوير الشعر العراقي الحديث . ومما يضاعف الاساءة ان قصيدة محمود البريكان الرائعة « رقم ٩٦ » مترجمة ومنشورة في احدى المجلات البلغارية منذ حوالي عشر سنوات ، وقد كان في الامسكان ضمها الى المجموعة . كما ان لكازم جواد أكثر من قصيدة مترجمة الى البلغارية . وقد نبهت ، شخصيا ، أحد أعوان السيدة بيتكوف - عبد الستار الدليمي - الى ذلك قبل صدور المجموعة بزمن طويل ، ولكن هم هذا الشاب الناشئ كان منصرفا الى احتكار أوسع حيز ممكن من الكتاب لنفسه ولصديق له من الطائرين على الشعر ، يدعى بدر الحبيب . وبالفعل فقد تضمن الكتاب أربع قصائد للدليمي وثلاثا لبدر الحبيب الذي يتألف كل تاريخه الشعري - ان صح ان له تاريخا - من مقطوعتين أو ثلاث ، كتبت بمساعدة الغير ، ونشرتها له الصحافة الادبية من باب التشجيع ! هذا بينما لم تزد حصة نازك الملائكة وبلند الحيدري وسعدي يوسف وكاظم السراوي عن قصيدة واحدة ، والبياتي عن قصيدتين . ولم يضارع الدليمي والحبيب في عدد القصائد المختارة سوى المرحوم بدر السياب ، ويبدو انه حظي بهذا الشرف لانه لم يعد حيا فينازع هذين السيدين عرش الشعر في العراق !! . . .

لقد قلت في مطلع الكلام انها قصة كريهة ، ولعل القارئ الكريم يدرك الآن ما عنيته .

فاذا جئنا بعد ذلك الى اختيار القصائد وجدناه قائما على الصدفة وإيثار السهولة . وهكذا شملت الاساءة حتى الشعراء الذين احتلوا مكانهم بحق في هذه المجموعة ، كأحمد شوقي ونزار قباني وبدر شاكر

السياب . اذ وقع الاختيار على قصائد لا تمثل نضجهم الفني ولا تنبؤا مكانا هاما في نتاجهم . ويكفي أن نقول ان المجموعة لم تحو من شعر أحمد شوقي سوى مقطوعة صغيرة عن الليل ، لم أعثر على أصلها في ديوانه ، والراجح انها من الأجزاء التي ألفها للفناء في سني حياته الاخيرة ! أما نزار قباني - وقد كتب اسمه بفتح النون ، كما ينطقه السيد عبد الستار الدليمي ! - فمن حقه أن يفخر ، فقد حوت المجموعة ثلاثا من قصائده ، وبذلك وفق على قدم المساواة مع بدر الحبيب ، وهذه القصائد هي : « ويقال عن سافيك . . . » ، « نحن دورنا القمر » ، « أحبك . . . » . ولعل القارئ سيتساءل كما تساءلت : أما كان ممكنا ، ونحن في غمار معركة كبرى مع الاستعمار والصهيونية ، أن يستعاض عن هذه القصائد ب « قصة راشيل شوارزنبيرغ » و « رسائل جندي من بور سعيد » وغيرها من قصائد نزار التي تصور محنة شعبنا العربي ونضاله ، والتي سنكسب بترجمتها أصدقاء جندا لقضيتنا بين القراء الاجانب ؟ . . .

ونصل آخر الامر الى ترجمة القصائد ، وهي في الواقع أسوأ ما في هذا الكتاب المشحون بالمساوىء . وينبغي أن أوضح منذ البداية ان جريرة ذلك لا تقع على عاتق الشعراء البلغار الذين وضعوا القصائد في قالبها النهائي بمقدار ما تقع على عاتق العرب الذين نقلوا هذه القصائد الى البلغارية ، وهم - كما ذكرت المقدمة - ثلاثة : نوري صادق والدليمي وطالب سوداني آخر . ولا أدري هل نجم كل هذا التشويه عن التسرع أم الجهل باحدى اللغتين أو كليهما ، أم لهذه الاسباب مجتمعة . وأيا كان السبب فان رداءة الترجمة تصل في أكثر الاحوال الى اهدار المعنى أو الى نقض ما يريد الشاعر . وسأقتصر هنا على مثالين اثنين ، هما قصيدة محمد الفيتوري « الى بولروبسن المضي » وقصيدة محمد سعيد الصكار « يوسف في ثيابة الجب » ، وكلتاهما منشورة في عدد « الآداب » الممتاز الصادر في آذار عام ١٩٦٦ . ولم أصطف هاتين القصيدتين لان ترجمتهما أردا من البقية ، بل لمجرد انهما في متناول يدي الآن .

وأبدأ بقصيدة الفيتوري فأتناول جزءا من مقطعها الاول :

جثت الاحياء واقبية الاموات

ورؤوس المهزومين الفضي الحزونة

تتدحرج في الطرقات

تتسلق أشجار الغابات

تسترجع حلم الارض المطعونة ،

أرض المأساة .

وهذه ترجمته البلغارية أنقلها حرفيا :

جثت الاحياء

مع جناز الاموات

ورؤوس القبور الحزينة

التي تنهمر مهشمة في الشوارع

وتتسلق الاشجار في اعياء

وتحول الحلم الى تراب عقيم -

أرض المأساة ! . . .

هكذا تحولت هذه الابيات الجميلة الى صورة سرالية مضحكة

تنهمر فيها رؤوس القبور مهشمة في الشوارع وتتسلق الاشجار ! . . . خذوا مثلا آخر :

يا شاعر امريكا الفقراء

ومغنيها

الزنجي الضائع منا تحت تراب مبانيها

بحار السفن الفرقى حول موانئها

بلياتشو المقهى ذا الوجه اللدهون

اللون القاتم في لوحات الرسامين

أحجار مناخها

ودخان مواسمها . . .

وهذه هي ترجمته :

أنت ، يا شاعر أميركا الفقيرة ،  
أنت ، يا مغني الزنجي الضائع  
تحت تراب مشارقها ( ! )  
( ومغني ) بحار السفن الفريفة  
ومهرج المقهى ذي الوجه المدهون  
والتلوج في لوحات رسامين اصحابهم الجنون ( ! )  
وأحجار المواسم المختلفة ..

ومن الواضح ان المترجم لم يظن الى ان الزنجي الضائع وبحار  
السفن الغرقى .. الخ ، هي نعوت أطلقها الشاعر على بول روبسن  
نفسه . أما « تراب المشارق » و « أحجار المواسم المختلفة »  
و « التلوج في لوحات الرسامين المصابين بالجنون » فقد حولت  
المقطع كله الى ضرب من الهذيان !  
وفي موضع آخر ترجمة عبارة :

وتفني للقاتل

تستغفر من قتلك

الى « تستغفر آله من قتلك » ، وبذلك أضفى جهل المترجم  
على القصيدة طابعا مسيحيا غريبا على بول روبسن وصاحب القصيدة  
على السواء .

ومع ان هذه الامثلة كافية ، فان من الطريف أن يرى الفسارء  
كيف ترجمت خاتمة القصيدة :

يا بول روبسن

مات الطفل الزنجي ...

وماتت جدته العمياء

الا كلمات

فالتها في اذنيه ذات مساء :

يا ابنائي غنوا للشدة

غنوا للشدة

لا يخلع انسان منكم جلده !

وهذه ترجمتها :

يا بول روبسن

مات الطفل الزنجي

وجدته الضعيفة

ولكن الكلمات التي كان يهمس بها في المساء

ما تزال تنبض في كل فم :

« غنوا للقوة ،

غنوا للقوة ،

واياكم أن تخلعوا

جلدكم الاسود » .

ويلاحظ هنا ان المترجم نسب الى الطفل الزنجي كلمات جدته  
العمياء ، وبذلك انتفت الحاجة الى ذكر الجدة اساسا . أما  
الاستعاضة عن « عمياء » ب « ضعيفة » فمرده الى ان الكلمتين  
متقاربتان لفظا في البلغارية ، ويبدو ان المترجم يخلط بينهما ! ولم  
يفطن المترجم الى ان « الشدة » جاءت في القصيدة بمعنى « المحنة »  
وان استخدام كلمة « القوة » في هذا الموضع يغير المعنى ، ويجعل  
الفيثوري ، بالرغم منه ، من اتباع نيتشه !

وانتقل الآن الى قصيدة الصكار « يوسف في غيابة الحب » .  
وسأتجنب الاطالة هذه المرة مكتفيا بأشعار قليلة مسخ فيها المعنى  
أو تحول الى تقيضه ، رغم أن القصيدة بسيطة التراكيب ، سهلة  
المتناول .

الاصل :

وانت يا أبي

يا أعينا بيضا ، ويا تلا من الاحزان

ترعبك اللؤبان ...

الترجمة :

وانت يا أبي ، بهذه الخصلات الشائبة

أنت الآن تل من الحزن  
لا تخيفه اللؤبان ( ! ) ...

الاصل :

الذيب ما كان ، ولن يكون

لكنها « مواهب » الانسان

متناهة تطفأ دون حدما الظنون

ويصدأ النسيان ! ..

الترجمة :

انه لم يمر ، ولن يأتي

ولكنه في ذاكرتي ( ! )

هذه نماذج قليلة أضعتها أمام القراء العرب ليروا ان هذه المجموعة  
التي أراد لها ناشروها أن تكون نافذة يطل منها القارئ البلغاري على  
الشعر العربي المعاصر ، قد حولها الطموح المتجرد من المبادئ وضعف  
الشعور بالمسؤولية الى عملية تزوير تثير القرف . وأضعها على الاخص  
أمام كاتب الخبر المنشور في « الاداب » ليرى ان ارسال الاحكام اعتبارا  
وبدوافع الجمالة لا يدخل في باب الخدمة المخلصة للقضية الادب  
العربي ، ولا هو على الدوام من علام الحذق والسطارة .

ولرب سائل يسأل : ما الذي منعك ، وانت في صوفيا ، من  
التدخل في الامر قبل وقوعه ؟ والواقع ان هذه قصة طويلة أمل ألا  
يفطرني أصحاب العلاقة الى الخوض في تفاصيلها . ومع ذلك فلا بد  
من القول بأنني بذلت قصارى ما استطعت للحيلولة عن صدور الكتاب  
على هذه الصورة الشائنة ، بل لقد وافقت مكرها على التعاون ،  
لفترة ما ، مع بيتكوف والدليمي ، أملا في تقويم بعض الاعوجاج ،  
ولكن ضيق أفق هذه السيدة - ولا يجيز لي أدبي أن أعتها بأكثر من  
ذلك ! - وسعي هذا الاخير لاتخاذ الكتاب معراجا للشهرة في بلغاريا  
قد جعلنا التعاون متعذرا . وأذكر اني اجتمعت بالدليمي مرة لنراجع  
أسماء شعراء المجموعة ، ولاحظت في حينها غياب كثير من الاسماء  
المعروفة فاقترحت اضافتها والاقتصار على قصيدة واحدة لكل شاعر  
ليتسنى اشراك أكبر عدد من الشعراء في المجموعة . كما اقترحت حذف  
اسم السيد بدر الحبيب من كتاب لا مكان له فيه . ولم يجد الدليمي  
أمام وجهه الرأي مفرا من التظاهر بالموافقة ، ولكنه حاول أن  
يرشوني ، بطريقته ، فاقترح أن نستثني أنفسنا ، نحن الاثنين ، من  
هذه القاعدة وننشر لكل منا أربع قصائد ! .. وحين رفضت الاقتراح  
مشمزا لاذ بالصمت وتظاهر بالتراجع . ثم جاءني بعد ذلك من يقول  
انه يروج عني في بعض أوساط الشعراء الشبان في بلغاريا انسي  
لست بشاعر على الاطلاق . ولم أتحرك لاقول لهذا السيد ان العراق  
وغير العراق يعرفني شاعرا منذ أكثر من عشرين سنة ، وان خلقي يابى  
علي التهرج واصطناع المسكنة ، ويابى علي أن أدور كالبائع المتجول  
معلنا عن بضاعتي في المقاهي والحانات ! ولقد ترجمت قصائدي الى  
الروسية ونشرت في أكثر من كتاب ( ٢ ) ، دون أن تطأ قدمي ارض الاتحاد  
السوفياتي ، ودون أن أريق ماء وجهي في ادارات الصحف ، أو أقيم  
الولائم للمترجمين ! ولم أحد طموال حياتي الواعية عن شععار  
الكسندر بوب : أتمسك بكرامة الشاعر ، وأصطفي ما يعجبني ومن  
يعجبني من الكتب والاصدقاء ! .. لم أقل هذا في صوفيا ، حيث  
تستطيع اية صغدع من ضفادع لافونتين ان توهم وتوهم انها باتت  
كالثور ضخامة ، وحيث يستغل بعض الوصوليين والادعياء طيبة القوم  
وعطفهم على قضايانا وبعدهم عن واقع حياتنا الادبية ليهلدروا القيم  
وليوقفوا في الأنفس انهم من أقطاب الفكر والكلمة في عالمنا العربي .  
ولكني أقوله هنا ، على صفحات « الاداب » لان ما يعنيني في المقام  
الاول هو أن تتضح الحقيقة للقراء والادباء العرب ، وهم أصحاب  
الكلمة الحاسمة في نهاية المطاف .

رشيد ياسين

صوفيا

( ٢ ) « شعراء آسيا » عام ١٩٥٧ . « الادب العربي المعاصر » عام

١٩٦٠ . الخ .